لقد قيل عن علم النفس كما يقرر "ابنجهاوس" " أن له ماضيا طويلا، ولكن تاريخه قصير".

لقد كانت كتابات وتأملات الفلاسفة في العصور التاريخية المختلفة تنطوي على الكثير من المفاهيم السيكولوجية وعلى الكثير من التصورات التي تحاول تفسير الظاهرات النفسية، بل ويرتبط ذلك التأمل النفسي بالوجود الإنساني ذاته، فهو قديم قدم الإنسان الذي يحاول دائما وأبدا أن " يعرف نفسه " وأن يفهم طبيعته الإنسانية، أن يستبطن عالمه الداخلي ويتأمل فيما صدر عنه وعن الآخرين من تصرفات وفيما يوجهها من محركات.

وعلى الرغم من ذلك، يعتبر علم النفس علما يافعا إذا قارناه بالأنظمة العلمية الأخرى، فلم يظهر المتخصصون في علم النفس ولا الكتاب والباحثون الذين اعتبروا أنفسهم "علماء النفس" حتى نهاية القرن 19 وأوائل القرن 20 تقريبا. ومع ذلك، فقد تأثر الفكر السيكولوجي بتصورات فلسفية ومنجزات علمية أدت إلى بلورة هذا الفكر وإلى نشأة علم النفس الحديث كعلم له هويته بين الأنظمة العلمية المختلفة.

لذا ارتبط التطور التاريخي لعلم النفس الحديث بمدارس مختلفة تناولت الظاهرات النفسية بمنظور أو بشكل أو بآخر. هذه المدارس المختلفة كانت تعكس خلفيات ثقافية واجتماعية وتاريخية مختلفة، الأمر الذي تمخض عن تصورات ونظريات وتفسيرات ومفاهيم مختلفة، بل وحتى متناقضة في بعض الأحيان، للظاهرات النفسية، كما تمخض عن تباين شديد في الإجراءات المنهجية المستخدمة في طرق الدراسة والبحث.

(طلعت، الشرقاوي، عادل، أبو عوف، 2003، ص 25)

وعلى أساس ما تقدم ممكن القول أن ظهور علم النفس كعلم قائم بذاته وانفصاله عن الفلسفة والعلوم الأخرى ما هو إلا محصلة النشاط الفكري الذي بدأه الفلاسفة اليونانيون، وقبلهم الفلاسفة المصريون والبابليون والهنود والصينيون القدماء وطوره الفلاسفة العرب والمسلمون ومن ثم فلاسفة أوربا في عصور نهضتها.

1 –الفكر السيكولوجي في الفلسفة:

1 ŧ –الفكر السيكولوجي في الفلسفة اليونانية:

يشير مؤرخو الفلسفة إلى بصمات الفلسفة المصرية الواضحة على تعاليم الفلاسفة اليونانيون وخاصة "تاليس" الذي يعتبر مؤسس الفلسفة القديمة. وتنسب إليه الحكمة المشهورة " اعرف نفسك" التي أصبحت المبدأ الرئيسي الذي اعتمد عليه سقراط في تعاليمه، وتقدم مدلولات هذه الحكمة الدليل الواضح على محاولة حكماء تلك الحقبة فهم السلوك الإنساني ومكانة الإنسان في هذا الكون.

فقد رأى "تاليس" أن الإنسان كائن يتألف من عنصرين رئيسيين متناقضين، الجسد من جهة والنفس أو الروح من جهة ثانية، كما يشاطر "فيثاغورس" نفس الفكرة السابقة "لتاليس".

ثم جاء الفيلسوف سقراط ليطور نظرية "تاليس" إلى الإنسان معلنا أن الجوهر الأول أي النفس العاقلة أو الروح، هو جزء من العقل الكلي أو الروح الإلهية، أما البدن فيتألف من عناصر العالم المحسوس الماء، التراب، النار والهواء، وبما أن النفس الإنسانية هي جزء من الروح الإلهية التي تسيطر على الظواهر والحوادث والأشياء الكونية، فإن بإمكان الإنسان السيطرة على بدنه والتحكم برغباته وشهواته، وعلى هذا فالنفس من خلال هذا التصور، تشارك فيما هو إلهي، وهنا يبرز مغزى الشعار الذي رفعه سقراط "اعرف نفسك بنفسك". فمعرفة الإنسان لذاته تتوقف في رأيه على الرجوع إلى النفس وتأملها والوقوف على ماهو مشترك بينها وبين الروح الإلهية، أي بين الإنسان وبين الله.

كما يعتقد "سقراط" أن للنفس القدرة على البقاء بذاتها والخلود بعد مفارقتها الجسد، مادامت تستمد حركتها من ذاتها، أي من الروح الإلهية، وهي على العكس من الجسد الذي يفنى لأنه يستمد حركته من الخارج.

تأثر "أفلاطون" بأستاذه إلى حد كبير وهو يرى أن خلود الروح تكون عن طريق المعرفة ذاتها إذ من غير الممكن في رأيه تقديم تفسير صحيح وكامل للمعرفة من غير أن تتأمل الروح المثل التي تنتمي إليها قبل أن تحل في البدن.

فما ينتاب الإنسان من مشاعر وأحاسيس خلال مراحل حياته، وما يدركه من حوادث وأشياء وعلاقات على هذه الأرض، ما هو إلا الانطباعات والصور التي حملتها الروح معها من عالم المثل وذلك عن طريق عملية التذكر فهذه هي المعرفة الحقة. ويعتبر الارتباط بينهما ضربا من تلاقي الأضداد واجتماعها، فالبدن يحول دون المعرفة الحقيقية لما يثيره من فوضى وتشويش في العمليات المعرفية.أما النفس يمكن أن تتعرض للعديد من المصاعب حين يجرها البدن نحو الأشياء المحسوسة وتلبية الرغبات والشهوات الجسدية.(الكهف الأفلاطوني)، وقد قسم "أفلاطون" النفس إلى ثلاث أقسام:

- **الحكمة:** ومركزها الرأس، وهي أرقاها منزلة، مثل طبقة الحكام والفلاسفة.
- **الشهوة:** ومركزها البطن، وهي أدنى المراتب وأحطها مثل العبيد والحرفيون وعامة الناس.
- **الشجاعة:** ومركزها القلب وهي تشغل الموقع الوسط بين الحكمة والشهوة وهم القادة العسكريين والجند والمقاتلين.

إن موقف "أفلاطون" الطبقي ينعكس في آرائه التربوية وقد سلط الضوء فقط على أبناء الطبقة الغنية.

جاء "أرسطو" بعد ذلك وحاول تذليل هذه الثنائية، ومن بين المعطيات التي ساعدته في ذلك التقدم النسبي في مجال الطب وعلم الأحياء ومرافقته للقائد اليوناني " الاسكندر المكدوني" بتسجيل الملاحظات العلمية مكنته من إدراك الكثير من الظواهر الطبيعية والحيوية والإنسانية ومن خلال هذا حدد أرسطو موقفه من النفس، وطرح موضوعه اتحاد البدن والروح، وعدم إمكانية الفصل بينهما إلا عن طريق التجريد، ومن غير الممكن كذلك تقسيم النفس، ولكنه وجدها تتخذ أشكالا متعددة، وتتجسد في مستويات وقدرات متباينة.

كالقدرة على التغذية: إنسان، نبات، حيوان.

كالقدرة على الحس: إنسان، نبات، حيوان.

كالقدرة على الحركة: إنسان، نبات، حيوان.

كالقدرة على الفهم: إنسان.

وقد رجع "أرسطو" إلى الفصل بين العقل والنفس، القوى الثلاث (الحس المشترك، الذاكرة والتخيل) وهذا الفصل يعيده إلى موقع معلمه الذي ألح على ضرورة التفريق بين النفس والجسد.إن هذه الثنائية لم تكن مشتركة لدى الفلاسفة اليونانيين فهناك من عارضوا "سقراط"، "أفلاطون" و "أرسطو" "كهيروقليطس" 6 ق.م"وديمقريطس" 5 ق.م بحيث يرون أن النفس تتألف من ذرات نارية تخضع في ظهورها وتبدلها إلى نفس القوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية والاجتماعية.

1 2 ~~2~~ الفكر السيكولوجي في الفلسفة العربية الإسلامية:

وفي ظل الحضارة العربية الإسلامية لمعت أسماء كثيرة من المفكرين والعلماء في دنيا المعرفة وكان لأصحابها فضل كبير في حفظ التراث الفكري الإنساني وترجمته ورفده بالعديد من المعطيات الجديدة الأصلية، مما اعتبره المؤرخون مقدمة أساسية من مقدمات النهضة الأوروبية.

وعلى وجه الخصوص نذكر " الكندي"، حيث يرى أن النفس مباينة للجسد، منفردة عنه بنية ووظيفة ومآلا، فهي جزء من الجوهر الإلهي والروحاني، تسكن البدن بعد الولادة لتقف على ما يقوم به، وتقوم زلات الإنسان وأخطاءه التي تدفعه إلى الوقوع فيها قوة الشهوة أو قوة الغضب.

والتفاعل بين الإنسان ومحيطه يتم حسبه على ثلاثة مستويات: الإدراك الحسي متعلق بالحواس الخمس، المصورة أو المتوهمة التي تقوم بوظيفة التصور أي الاحتفاظ بصور الأشياء والموضوعات بعد إدراكها وأثناء غيابها من جهة ووظيفة تخيل هذه الصور وتركيبها من جهة ثانية، وأخيرا العقل الذي يتولى معرفة الظواهر والحوادث وجواهرها على نحو أعمق وأشمل مما تقوم به النفس في المستويين السابقين، ويلاحظ مدى تأثر الكندي بآراء الفلاسفة اليونانيين القدماء. ولعلنا نجد موقفا شبيها بموقف الكندي ونظرية في الإنسان والمعرفة عند "الفارابي" وتشمل النفس عند الفارابي خمس قوى متعاقبة من حيث وجودها الزماني وأهميتها وهي:

القوة الغاذية، القوة الحاسة، القوة النزوعية، القوة المتخيلة والقوة الناطقة. وتتركب كل واحدة من هذه القوى من قوة رئيسية واحدة، وقوى أخرى ثانوية تعمل لمصلحتها، باستثناء القوة الناطقة التي لا تتفرع عنها أية قوة، لأنها قوة رئيسية بين سائر قوى النفس.

وما ينبغي ملاحظته في تقسيم الفارابي لقوى النفس هو اهتمامه بالجانب الانفعالي والإرادي وعلاقته بالجانب المعرفي في السلوك الإنساني.

وقد نقل "الفارابي" تعاليم "أرسطو" و "أفلاطون" وترجمتها إلى اللغة العربية من ناحية وتطويرها في اتجاهات شتى بالقدر الذي كانت تسمح به وسائل البحث وأدواته في ذلك العصر من ناحية ثانية. ما مهد إلى ظهور أفكار عظيمة أكثر نضجا في ميدان علم النفس ووفرت أعماله كثيرا من الوقت والجهد على من جاء بعده كا " ابن سينا" الذي اعتمد على التراث الفلسفي اليوناني والهندي والفارسي والعربي الإسلامي، اعتماده على معطيات الطب والتشريح إلى جانب خبرته وتجاربه وملاحظته العلمية الدقيقة ساعده في صياغة نظريته السيكولوجية على نحو متناسق ومنتظم جعلها تفوق جميع ما سبقها من نظريات دقة وشمولية، ينظر ابن سينا إلى النفس من خلال مستويات ثلاثة.

المستوى النباتي يقوم بوظائف التغذية والنمو والتكاثر وهو ما نجده عند النبات، الحيوان والإنسان.

النفس الحيوانية المستوى الحيواني، تقوم بوظائف الإحساس والتخيل والحركة نجدها عند الإنسان والحيوان.

المستوى الإنساني ووظيفته العقل فهو يخص الإنسان وحده. يشبه هذا التصنيف الذي قدمه أرسطو.

وزيادة على ذلك فإن ابن سينا قدم وصفا متقدما لآليات الإحساس الظاهري وشروطه الداخلية (العصبية) والخارجية (الصفات الفيزيائية والكيميائية للأشياء).

وتتجسد نظرة ابن سينا المبدئية إلى العلاقة بين النفس والجسد بصورة واضحة عبر دراسته للجانب الوجداني من النفس البشرية.

(تجربة إسماع مجموع كلمات وتحديد ما يثيره منها بالاعتماد على تغير نبضات القلب) تعد هذه التجربة أول محاولة للتشخيص النفسي في تاريخ الفكر الإنساني حيث سبق ابن سينا بها محاولات علماء النفس في العصر الحديث لوضع اختبارات تمكنهم من الكشف عن الجوانب الانفعالية والوجدانية لدى الإنسان (كاشف الكذب مثلا) بعدة قرون.

وليس بعيدا نجد كذلك الفيزيائي والرياضي العربي " ابن الهيثم" اقترح أفكارا جديدة في علم النفس الفيزيولوجي، فقد درس الإدراك البصري وانطلق في تفسيره لهذه الظاهرة من قوانين البصريات، فوجد أن الإنسان لا يستطيع أن يدرك الموضوع إدراكا صحيحا لدى عرضها أمامه لفترة قصيرة إلا إذا كانت معروفة بالنسبة له من قبل ويرجع ذلك برأيه إلى أن التأثير المباشر للمؤثرات الضوئية لا يكفي وحده لتكون الشكل البصري، ولا بد بالإضافة إليه من وجود الآثار التي خلفتها الانطباعات السابقة في الجهاز العصبي.

وفي المغرب العربي نجد " ابن خلدون" الذي يميز مراتب عديدة للنفس الإنسانية، تتحدد عبرها وبفضلها موضوعات النشاط البشري، بل وموقع الإنسان في هذا الكون، ولعله من الواضح أن ابن خلدون في حديثه عن أصناف النفوس البشرية ومراتبها، شأنه شأن العديد من المفكرين الذين سبقوه يركز على ساحة واحدة من ساحات النفس التي كشف عنها علم النفس، وهي الساحة المعرفية التي تشتمل على الإحساس والإدراك والانتباه والتصور والكلام والتذكر والتخيل والتفكير. وبقيت الحالات النفسية (الانفعالات والعواطف والإرادة وخصائص الشخصية كالطبع والمزاج) خارج مجال مشاغله واهتمامه، وكأنها ظواهر ذات طبيعة

خاصة وأصول متميزة. ولقد شدد ابن خلدون على أثر العوامل المحيطة كالمناخ والظروف المعيشية للإنسان في صفاته الجسمية والنفسية وعلاقاته بالآخرين.

وعلينا أن لا ننسى " ابن طفيل" الذي كرس قصة "حي بن يقظان" ليبين دور البيئة في تكوين الإنسان على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والعقلي، وكذلك ابن رشد الذي أخضع السلوك الإنساني العادي والشاذ إلى الملاحظة العلمية، مما يسر له التعرف على الكثير من العلل التي تؤدي إلى نشوء أنماط مختلفة من السلوك. وقد نصح بإقامة مراكز خاصة تعنى بالمرضى النفسيين ومعالجتهم عن طريق العقاقير الطبية والراحة والاستجمام والتدريبات الخاصة.

1 3 الفكر السيكولوجي في الفلسفة الأوروبية خلال عصور النهضة:

ومع انتقال المعارف والعلوم إلى أوربا وبزوغ فجر النهضة في البلدان الأوروبية ظهرت أفكار أكثر تحديدا وتركيزا فيما يتعلق بقضايا الطبيعة والمجتمع عامة، وبموضوع النفس خاصة، ويجمع المؤرخون على أن أول من أولى موضوع النفس اهتماما خاصا هو الفيلسوف الفرنسي " رينه ديكارت"؛ اعتقد ديكارت أنه سلوك الحيوانات والإنسان أشبه ما يكون بعمل الآلة، ولذا فهو ينطلق في تفسيره للسلوك من المبدأ الذي تفسر به الظواهر الفيزيائية وهو مبدأ الانعكاس. ولقد حاول ديكارت تطبيق مبدأ الانعكاس على جميع الوظائف النفسية، وتبين له فيما بعد عدم كفاية هذا المبدأ لتفسير الظواهر النفسية المعقدة كالتذكر والتفكير والإرادة.

كما كان للفيلسوف " توماس هوبز" بصمة في ثنائية الجسد والنفس فهو أول مفكر حذف مفهوم الروح واكتفى بدراسة دور الأفعال الآلية التي تصدر عن الجسم، كذلك نجد الفيلسوف " باروخ سبينوزا" له نفس الموقف حول تفسير سلوك الإنسان والظواهر النفسية فهو يشير إلى الظواهر النفسية مثلها مثل الظواهر المادية تنشأ وتتطور بفعل جملة من الأسباب والعوامل الموضوعية (معرفة العلة) وبالتالي له الفضل في وضع مبدأ هام من مبادئ علم النفس، وهو مبدأ الحتمية.

كما يرفض "جون لوك" وجود قدرات أو صفات نفسية موروثة فالطفل من هذا المنطلق يولد صفحة بيضاء والمجتمع هو الذي يتولى تشكيل الظواهر النفسية وتطويرها لديه بعد الولادة، وعلى هذا النحو تتكون خبرة الإنسان وتتعاظم تجاربه بصورة تدريجية مع انتقاله من سن إلى أخرى.وظهر اتجاهين متناقضين الاتجاه الأول يولي اهتمام بالتجربة الداخلية والاتجاه الثاني يولي اهتمام بالتجربة الخارجية.

2 – المقدمات الأساسية لظهور علم النفس:

يجمع مؤرخو علم النفس على أن نشأة هذا العلم وظهوره كعلم قائم بذاته يرجعان إلى بدايات النصف الثاني من القرن 19 م، ويذهب العديد منهم إلى اعتبار عامي 1861 و 1879 م تاريخا لاستقلال هذا العلم، وهم بهذا يشيرون إلى العالم الألماني "فونت" كمؤسس لعلم النفس فبالنسبة لعام 1861 وضع "فونت" أول جهاز في خدمة البحث السيكولوجي التجريبي، وفي عام 1879 أقام أول مخبر للدراسات السيكولوجية.

وسنستعرض أهم الدراسات التي سبقت استقلال علم النفس وشملت ما يلي:

✓ الفيزيولوجيا التجريبية والإدراك الحسي:

ففي نهاية القرن 18 م وبدايات القرن 19 م وجه العلماء اهتمامهم نحو الجهاز العصبي للتعرف على بنيته ووظائفه مستخدمين أجهزة وأدوات علمية متقدمة كالمجهر (الميكروسكوب) ووسائل علمية مختلفة، محاولين في الوقت ذاته تحسينها وتعديلها، ومن بين الأجهزة التي تم دراستها (الجهاز العصبي، الجهاز البصري، الجهاز الحسي).

✓ دراسة الشخصية والفروق الفردية:

من الموضوعات التي تناولها العلماء خلال القرن 19 م تلك التي تتعلق بالصفات الجسمية والنفسية ودرجات تفاوتها عند البشر، ومن بين التطورات التي حصلت ظهور علم الفراسة الفيزيونوميا في ألمانيا وفرنسا خلال النصف الثاني من القرن 18 م أولى هذه المحاولات، فلقد أكد أصحاب هذه النزعة على وجود علاقة وثيقة بين ملامح وجه الإنسان وسلوكه، وفي مطلع القرن 19 م ظهر في ألمانيا اتجاه آخر عرف بالفرينولوجيا Phrénologie (علم فراسة الدماغ) (أعمال Gall).

✓ دراسة الظواهر النفسية المرضية:

لقد ظل الاعتقاد بأن الأرواح الشريرة والشياطين هي علة كافة الأمراض النفسية والعقلية سائدا حتى أواخر القرن 18 حيث أقدم الطبيب الفرنسي " فيليب بنيل" P. Pinel عام 1793 على تحطيم الأغلال التي كانت تكبل أيدي وأرجل مرضاه العقليين، ونادى بضرورة البحث عن أسباب الأمراض الذهانية في البنية

البيولوجية والفيزيولوجية للمريض، وليس في القوى الغيبية والميتافيزيقية، كما يعتبر "ايتارد" أول من اهتم بضعاف العقل وتربيتهم وقد تسنى له عام 1798 دراسة حالة الطفل المتوحش.

كما يجمع معظم مؤرخي علم النفس على أن علم النفس المرضي مدين بنشأته وتطوره للفيلسوف الفرنسي " تيودولريبو " كما اهتم العالم "شاركو" بعلاج مرضى الهستيريا مستخدما في ذلك التنويم المغناطيسي وهو أحد مؤسسي علم الأعصاب المعاصر.

✓ **النشاط التربوي وآراء المربين السيكولوجية:**

قطعت التربية في أوربا حتى مطلع القرن 19 م شوطا لا بأس به فقد انتشرت المؤسسات والمراكز التي تعنى بإعداد الأفراد إعداد علميا ونفسيا واجتماعيا وأخلاقيا ودينيا. إن النجاحات التي أحرزتها المجتمعات الأوربية في ميدان التربية والتعليم كانت في الكثير من جوانبها وأدواتها، صدى لأفكار المعلمين والمربين ودعواتهم إلى ضرورة الاهتمام بالإنسان وتربية حواسه وعقله، وتوجيه دوافعه وانفعالاته بإتباع أساليب حديثة، واعتماد مضامين تنأى بالنشاط التربوي عن أسلوب القسوة والإكراه، وتدنو به من وقائع الحياة ومعطيات الفكر، ومن بين هؤلاء الاتجاه المربي " كومينسكي (كومينوس) كذلك، " جون جاك روسو".

3 – **استقلال علم النفس:**

بينما كان الأطباء وعلماء الفيزيولوجيا والفلاسفة والمربون الأوروبيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر يقتربون من مظاهر النفس، ويلحون على دراستها وضبط قوانين حركتها نشر الفيلسوف الفرنسي " أوغست كونت " محاضرات في الفلسفة الوضعية عام 1830، وقد لاقت هذه المحاضرات صدى إيجابيا واسعا لدى الأوساط العلمية في أوربا، ومن ثم في الولايات المتحدة الأمريكية. يقدم صاحب المحاضرات عرضا شاملا ومفصلا عن تاريخ العلوم عبر مراحل المعرفة الإنسانية وانطلاقا من الأسس والمبادئ الفلسفية يحدد موقع هذه العلوم وعلاقتها بعضها ببعض ودورها في تلك المعرفة من خلال التعريف بها وإبراز مادة كل واحد منها والمنهج الذي يستخدمه، وفي هذا السياق يقف مطولا عند الظواهر الاجتماعية والوقائع النفسية باعتبارها موضوعا لعلم الاجتماع وعلم النفس. ولكنه يلاحظ أن موضوعات علم النفس لا يمكن دراستها إلا أن عن طريق الاستبطان والملاحظة الذاتية بسبب الطبيعة الخاصة التي تميزها من سواها مما يندرج ضمن اهتمامات العلوم الأخرى، وهنا ما حمله إلى اتخاذ موقف معارض من الدعوات الرامية إلى قيام علم النفس وانفصاله عن الفلسفة والعلوم الأخرى، فهو يقرر عدم صلاحية منهج الاستبطان، لأنه من غير الممكن في

رأيه أن يكون الفرد باحثا وموضوعا للدراسة في وقت واحد، وما دام هذا العلم لا يملك سوى هذه الأدلة الخاطئة،فقد اعترض كونت على استقلاله، واقترح أن توكل مهمة البحث في الوقائع النفسية إلى علم الاجتماع والفيزيولوجيا.

وعندما أعلن "ميل وسبنسر" برنامجهم لإقامة علم النفس كعلم مستقل عن الفلسفة كان شعارهم البحث عن طرائق تجريبية مناسبة تعتمد في أسسها على العلوم الطبيعية، بيد أن شعارهم هذا بقي مجرد كلام، ولم يغير من مواقع أصحابه المثالية شيئا.

بعدها جاء " فيبر " في كتابه "حول اللمس" حملت محتوياته الرد المباشر على محاولة كونت قطع الطريق أمام استقلال علم النفس بحجة أنه لا يملك سوى منهج الاستبطان الذاتي الخاطئ، فقد درس "فيبر" اللمس كواقعة نفسية بطريقة علمية تجريبية، مدللا بذلك على إمكانية دراسة الظواهر النفسية وقياسها عبر علاقاتها بالظواهر الخارجية وهذا كله لمصلحة المنهج التجريبي في علم النفس مشاركة غير مباشرة في الجدل القائم بين أنصار قيام هذا العلم وخصومه.

إن محاضرات "فونت" في علم النفس الفيزيولوجي التي نشرت عام 1862 تحت عنوان " علم النفس من وجهة نظر العلم الطبيعي" وتصميمه لأول جهاز لدراسة العمليات الحسية ومحاضراته في "النفس عند الإنسان والحيوانات" التي تضمنت برنامجه الطموح لإقامة علم النفس التجريبي وعلم النفس الثقافي، وفي رأيه أن علم النفس يجب أن يدرس الخبرة الداخلية المباشرة للفرد، وقد يبدو الكلام عن تطوير فونت للاستبطان التقليدي في الاتجاه الذي يتناسب مع تقنيات المخابر الحديثة متناقضا وغير معقول.

إن الدور الإيجابي الذي قام به "فونت" في حسم الصراع لصالح استقلال علم النفس عامة، والنهوض بعلم النفس التجريبي خاصة، هو حقيقة تاريخية تفرض نفسها على الجميع، ولا يملك أحد إزاء حيثياتها إلا التسليم بها.

ولكن الحقيقة الأخرى التي ينبغي عدم إغفالها أو تجاوزها هي بروز أكثر من "فونت" وأعمال أخرى غير أعمال "فونت" في نفس الفترة التي شهدت ظهور علم النفس كعلم قائم بذاته.

ولئن كان الصراع من أجل استقلال علم النفس في المراحل السابقة قد اتخذ طابعا فرديا، فإنه خلال العقدين الأخيرين من القرن 19 م بدأ يعرف أشكالا من التنظيم الجماعي ساعدت إلى حد بعيد في ولادة هذا

العلم وتحديد مادته ومناهج البحث فيه وعلاقته بالعلوم الأخرى، وهذا ما يفسر ظهور أقسام مستقلة لعلم النفس أولهما في باريس، لندن ثم ألمانيا، كما تجلت تلك الأشكال الجماعية في صدور المجلات والدوريات التي تعالج قضايا علم النفس، وتناقش نتائج البحوث التجريبية.**(عامود، 2001، ص. ص 30_106)**